فان شكرنا فضله مرة ، فقد يكرنا من نداه مرار ، ونحن منه في جوار العلى ، تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ امدوا اسماؤه ، لذلك الجار وذاك الجوار ، وقد رايت ان اثبت هنا رسالة
خاطب بها الكاتب البارع القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ ابا عبد الله بن الابار يذكر لما اخذ العدو
مدينة بلنسية وهي ، الا فيه للدهر تدنو بمن نأى ، وبقيا يرى منها خلاف الذي رأى
ويامن عذيري منه يقصد من اوى ، اليه ولا يدري سوى خلف ما وأى ، ذخائر ما في البر والبحر صيد
فلا لولا ابقى عليه ولا وأى ، ايها الاخ الذي دهش ناظري لكتابه ، بعد ان اجهش خاطري من اعبابه
وسرني من بشره ايماض ، بعد ان ساءني من جهته اعراض ، جرت على ذكر الصلة فقوم قدح شعبتها
وروي اقداح قلعتها ، واحدث ذكرا من عهدنا الماضي فنقط وجه عروسه ، وشعشع خمر كؤوسه ، وسقي ما
الشبيبة ثراه ، وابرز مثل مرآة الغريبة مرآه ، فبورك بدلحوديا وصل رحمه ، وكسا منظره من البهجة ملك
حرمه ، وحيا الله منه وليا على سالف عهدي تمادي ، وشعار ودي نادي ، وبين الاحسان شيمته ولا
والبيان لا تنجاب عنه ديمته ، ولا تغلو بغير قلمه قيمته ، واعتذر عن كلمة تمني تبديلها ، ودعوى ذكر
وجوم النادي لها ، ثم ارسلها ترجف بوادرها من خيفه ، وتوغر رغم صدر قلم وصحيفه ، وتنذر من ريحانة
قريش ان تمنعه عرفها ، وتحذق البيطار فيها ، واتقي غارة على غرة ، من الناجي براس طمره ، ولم ياس هجران
المهاجر بعد وصله ، وعكر عكرمة المغطي بحلمه على ابي جهله ، وعند ذكر كتيبة خالد اجم ، وذكر يوم لحاتك
بد فارس فاستلج ، فاعتذر عما قال ، واضمر الحذر الا ان يقال ، فمهلا ايها المولي على علمك ، الناقف ببحر قلمه
انتظي منزلتك في البلاغة ومهيعها لاحب ، ومنزعها بالعقول لاعب ، تسفل وقد ترفعت ، او تنحو وان
تلفعت ، عرفناك يا سوده ، وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده ، فلم حين تهيب لاخ الاوحد من
قصي عطاريبها ، ولو استنار من حقايقها تالدها وطريفها ، لم يذكر يد توممه عندا بيها ، وقد راح خطر
اشرف على نائبها ، حين اهاب بكم لمحته ، ودعا منكم اخاه لامره ، ولولا ذلك لما خلا لرجدا الكعبه
ولا خلص من تلك المضايق الصعبه ، وبان اعرفه بحدتكم الموصوفه ، غلب على ما كان بايدي صوفه
فكيف تجحد اليد عند عمنا ، او نشحذ اسنة الالسنة لذمنا ، او كيف نلقاكم بجحدنا ، وابوكم ابو بكر معدنا
وما بنا منكم الي سبابين ينتجب ، وان اطلنا فيه التعجب ، بالذي يقطع ارحامنا ، ويمنع اشباحكا و
بعد ان شدد نابغها لنا بغضاءكم ، ورانا اقدامنا في نضالكم ، ولو شيتم توعدتم باسود سود دم عند الاقدام
والحاح الحافكم في ضرب الهام ، لكن نقول ان قومنا الكرام ، ولو شاؤا كان لنا منهم شرة وعرام ، واعود من جت
بدء الاخ الذي ابثه شوقي ، وانطق حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي ، طارحني حديث من رحل
وقطين خف ، فيا لله لاتراب درجوا ، واصحاب عن الاوطان خرجوا ، قصت الاجنحة وقيل طيروا ، وانما
هو القتلى او الاسرى وتسيروا ، فتفرقوا ايدي سبا ، وانتشروا ملا الوهاد والربى ، ففي كل جانب عويل وزفير
وبكل صدر غليل وحسرة ، ولكل عين عبره ، داء خامر بلاد ناحين اتاها ، وما زال بها حتى بحي على موتاها
وبحي يومها الاطول كهلها وفتاها ، وانذرها في القوم بحران انتجه ، يوم اتاد دوا اسدها المهجه ، فكان
تلك حلل الشوبوب ، وباكورة البلاء المصبوب ، اثكلتنا اخوان ابكانا نعيهم ، ولله احوذيهم والمعيهم
ذاك ابو ربيعنا ، وشيخ جميعنا ، سعد بشهادة يومه ، ولم يرما يسوء في اهله وقومه ، وبعد ذلك اخذ
من الام بالمخنق ، وهي بلنسية ذات البهجة والحسن والرونق ، وما لبث ان اخرس من مسجدها لسان الاذان
واخرج من جسدها روح الايمان ، فبرح الخفا ، وقيل على اثار من ذهب العفا ، وانعطفت النوائب مفردة
ومركبة كما تعطف اللفا ، فاودت الخفة والحصافة ، وذهب الجسر والرصافة ، ومزقت الحلة والشملة
واوحشت الجوف والرملة ، ونزلت بالحارة وقعة الحره ، وحصلت الكنيسة من جو دورها وطيبا بها على
طول الحسره ، فاين تلك الخمايل ونضرتها ، والجداول وخضرتها ، والاندية وارجها ، والاودية ومنعرجها
والنواسم وهبوب معتلها ، والاصايل وشحوب معتلها ، دار ضاحكت الشمس بحرها وبحيرتها ، وازهار
تري من ادمع الطل في اعينها ترددها وحيرتها ، ثم ذهبت كتيبة الكفر بزرقها وشقرها ، حتى لحقت
بجزيرة شقرها ، فاها المسقط الراس هوي نجمه ، ولقادح الخطب سهي كلمه ، ويا لجنة اجرى الله
النهر تحتها ، وروضة اجاد ابو اسحق نعتها ، وانما كانت داره التي فيها دب ، وعلى اوصاف محاسنها اكب
وفيها انتشى منيته كما شاء واحب ، ولم تقدم بعده محبين فتشبهم اليها ساقوم ، ودمعهم عليها اراقوا
وقد اثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن لذلك الموقع

اقلوا ملامي او فقولوا واكثروا ، ملامكم عما به ليس يقصر ، وهل غير صب ما انثني عبراته
اذا صعدت انفاسه تتحدر ، يحن وما يجدي عليه حنينه ، الي اربع معروفها متنكر
ويندب عهدا بالمشقر فاللوى ، وانى اللوى منه واين المشقر ، تغير ذاك العهد بعدي واهله
ومن ذا على الايام لا يتغير ، واقفر رسم الدار الا بقية ، لسائلها عن مثل حالي تخبر
فلم يبق الا زفرة اثر زفرة ، ضلوعي لها تنقد او تتفطر ، والا اشتياق لا يزال يهزني
فلا غاية تدنو ولا هو يقصر ، اقول لساري البرق في جنح ليلة ، كلانا بها قد بات يبكي ويسهر
تعرض مجتازا فكان مذكرا ، بعهد اللوى والشي بالشي يذكر ، اناوي لقلب مثل قلبك خافق
ودمع سفوح مثل قطرك يقطر ، وتحمل انفاسا كومضك نارها ، اذا ارفعت تبدو لمن يتنور
يفتر عيني اذا اعاين مذ نأى ، لما ابصرته منك عيناي تبصر ، وان يتزاولك تخليط الذي هم

بقلبي

بقلبي وان غابوا عن العين يحضروا ، كفي حزنا انا كاهل محصب ، بكل طريق قد نفرنا وننفر
وان لا انا من مشوق وشائق ، بنار اغتراب في حشاه تسعر ، الا ليت شعري والاماني ضلة
وقولي الا يا ليت شعري تحير ، هل النهر عقد للجزيرة مثلما ، عهدنا وهل حصباؤه وهي جوهر
وهل للصبا ذيل عليه تجره ، فيزور عنه موجه المتكسر ، وتلك المغاني هل عليها طلاوة
بما راق منها او بما رق تسحر ، ملاعب افراس الصبابة والصبا ، تروح اليها تارة وتبكر
وبلي ذاك النهر كانت معاهد ، بها العيش مطلول الخميلة اخضر ، بحيث بياض الصبح ازرار جيبه
تطيب واردان النسيم تعطر ، ليالي بماء الورد ينضح ثوبها ، وطيب هواه فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادني هناك تحدي لنا ، الي اللهو لا تكبو ولا تتعثر ، جياد باعلاها بهار ونرجس
فابيض مفتر الثنايا واصفر ، وموردنا في قلب قلب كمقلة ، حذارا علينا من قذي العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه ، ويا حسنه مستقبلا حين يذعر ، نقود اليه طايعا كل جارح
له مخر رحب وحضر مضمر ، اذا ما رميناه به عبثت به ، مدللة الاطراف عنهن تكسر
تضم لا روي التنيق حزان سهلها ، وقد نقدت فيها مهاة وجؤذر ، فصاح الي ان صاح بالقوم صائح
وانذر بالبين المشتت مجوذر ، وفرقهم ايدي سبا واصابهم ، على غرة منهم قضاء مقدر
ونعود الي حيث كافيه من تبدد شمل الجيره ، ووطي بساط الجزيره ، اما شاطبة فكانت من قصبتها
شوساء الطرف ، وبيطحها بها مروساتي نهاية الظرف ، فخلي من الذروة من اخلاها ، وقيل للكافر
شانك واملاها ، فقبل ان تضع الحرب اوزارها ، كشط عنها ازارها ، فاستحل الحرمة وتناولها ، وما
انتظر اقصر المدى ولا اطولها ، واما تدمير فجار عودها على الحصر ، وامكنت عداتها من القصر فداجي
الكفر الايمان ، وناجي الناقوس الاذان ، وما وراءها من الاصقاع التي باض الكفر فيها وفرخ ، وانزل
بها ما انسي من التاريخ ومن ارخ ، فوصفكم على احاد تعرفيها اتي ، وفي ضمان القدرة الانتصاف من عدو
عاث وعتا ، وانا لنرجوها كرة تعك البلاد من اسرها ، وتجبرها بعد كسرها ، وان كانت الدولة العامرية
منعت بالقراع دمارها ، ورفعت على البقاع نارها ، فهذه العربية بتلك المنتقبة الخلق ، والعدو لها
اهيب ومنها ازرق ، وما يستوي نسب مع النقل نبت ، وبالمستفيض من النقل ثبت ، وآخر علت سماك
على المس ، وربي ركنه في الاسلام رسخ قواعد الخمس ، وكان كما قال ابو حنيفة في حجر المسيح جاء مثل الشمس
والايام العمرية ، هي ام الوقايع المحكية ، ومن شاء عدها من اليرموكية ، الي الارككية ، وهذه الايام
الزاهرة هي زبدة حلاوتها ، وسجدة تلاوتها ، وامامتها العظمى ايدها الله تمهل الكافر من مدة املائه
ثم تشفي الاسلام من دائه ، وتطهر الارض بنجس دماية ، بفضل الله المرجو زيادة نعم قبلها والائه ، رجعت
سيدي مودتيا بما يجب اداؤه ، ومقتديا وما كل احد يحسن اقتداوه ، وانما ناضلت نعليا ومهدي بالنضال
قديم ، وناظرت جدليا وما عندي للمقال تقديم ، واطمعته في الجواب ولقرعتي يعلم الله النكول ، وروبتي
لو لاحق المسله بطير الحوادث المرسله عصف ماكول ، اتم الله عليه الاه ، وحفظ مودته وولاه ،
وشفع لخلته الكريمة اخلاءه ، بمنه والسلام ، انتهت الرسالة ، ورايت من رحلة ابن رشيد ما ذكر ابا
المطرف ما صورته اما الكتابة فقد كان حامل لوائها ، كما قال بعض اصحابنا الان الله الكلام كما الان الحديد
لداود عليه السلام واخبرنا شيخنا ابو بكر ان شيخه ابا المطرف راي رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه حزمة
اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى ، وبعد كتبي لهذه الرسالة رايت ان اذكر
رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي
سيدي وان وجم بها النادي ، وجمجم بها المنادي ، ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام ، وصدرها
توغر صدر الصحايف والاقلام ، واعيذ ريحانة قريش ، ان تروح من حفيظتها في جيش ، قد هابتها مغاور
كل حي ، واجابتها العطاريف من قريظ قصي ، تدلف بين يديها كتيبة خالد ، وتحلف لاقدحت نار
الهيجاء بزند صالد ، او تنصف من غامطها ، وتقذف به وسط غطامطها ، لاجرم اني من جريمتي حذر ،
وعما وضحت به قيمتي للمجد معتذر ، الي ان يصوح من الروض نبته وجناته ، ويصرح بالقبول حلمه واناته
الحديث عن القديم شجون ، والشان بتقاضي الغريبر شؤون ، فلا غرو ان اطارحه اياه ، واقاسمه الامل
في لقياه ، ومن لي بمقالة مستقلة ، او حالة غير مختلة ، ابت البلاغة الا عنادها ، وعلى ذلك فاستنبي عباد
درجت اللذات والاتراب ، وخرجت الروم بنا الي حيث الاعراب ، ايام دهمنا الاعظم الاخطار ، وتجمعنا
بالاوطان والاوطار ، فالي م تداري برح الالم ، وحتي م تساري النجم في الظلم ، جم اوصاب ما لها من انفصام
ومضض اقتراب شذ عن ابن مضاض ، فلو سمع الاول بهذا الحادث ، ما ضرب المثل بالحارث ، يا لهم من
جلاء ليس به يدان ، وثناء قلما يسفر عن تدان ، وعلى الجد العاثر لقاه فاعجزه ، ودام الجلد الطائر انقضنا
فانجز ، هؤلاء الاخوان مكنهم لا يمتع به اوان ، وبينهم كثبت الارض الوان ، بين هايم بالسهي ، ونايم في
الثرى ، من كل صنديد بطل ، او منطيق غير ذي خطل ولا خطل ، قامت عليه النوادب لما قعدت
النوايب ، وهجمت بيوتها المنعاه الحجاج والذوايب ، واما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب ، المشتب
فيها بمحاسن الاحباب ، فقد ودعنا معاهدها وداع الابد ، واخني عليها الذي اخني على لبد ، اسلمها
الاسلام ، وانتظمها الانتثار والاصطلام ، حين وقعت انسرها الطائره ، وطلعت نحسها
الغايره ، فغلب على الجذل الحزن ، وذهب مع المسكن السكن ، كزعزع الريح صك الدوح عاصفها

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)